تجنبوا عوامل الفشل

تهيأت للثورة المصرية الحاضرة ظروف مواتية تكفل لها النجاح بإذن الله إذا أحسنت مصر حكومة وشعبًا تصريف الأمور، فلا وجه لمقارنة بينها وثورة عام 1919 وما بعده لأنَّ مصر بعد أن هبت فى وجه المستعمرين على إثر نفى سعد وزملائه إلى مالطة ابتليت بحكومات مصرية وصفت نفسها بالوزارات الإدارية وتركت فى الظاهر أمر القضية الوطنية للوفد المصرى الذى أغلقت فى وجهه جميع الأبواب فى أوروبا كما تركت فى الواقع المواطنين جميعًا تحت رحمة السلطة البريطانية تعتقلهم وتحاكمهم عسكريًا وتصدر ضدهم أحكامًا بالسجن والإعدام.

وكان حكمدار العاصمة رسل باشا وجميع أعوانه هم أدوات السلطة العسكرية وعيونها. فلم تساهم تلك الحكومات فى الثورة ولو بأضعف الإيمان فكانت ثورة شعب أعزل أمام دولة باغية طاغية مستعمرة وحكومة ذلك الشعب على الحياد.

أما الآن فثورتنا عامة، ثورة شعب وحكومة، ثورة تزعمتها الحكومة.

بدأ الشعب حركته المباركة فى عدم التعاون مع المستعمرين وبدأ الأبطال من العمال يهجرون المعسكرات الإنجليزية وبدأ الإنجليز يضيقون ويلتمسون من الحكومة العون وهى تهز كتفيها وتقول «العمال أحرار» وتسير الأمور قدمًا ويتهم رجال البوليس بأنهم يحرضون العمال على الامتناع عن العمل مع المستعمرين والحكومة لا تعير هذا الاتهام التفاتًا. ويتلقى الوزراء فى العاصمة وعلى الأخص معالى وزير الشئون الاجتماعية ألوف العمال بصدر رحب ويوزعونهم على المصالح والإدارات وتخلق لهم الأعمال وتدفع لهم أجورهم من يوم أن انسلخوا عن عار خدمة المستعمرين.

وتتألف الكتائب لتحرير الوطن وتكاد تبدأ جهادها وكفاحها الخطير ويشعر المستعمرون بالحرج يزداد يومًا بعد يوم.

ويمتنع المتعهدون عن التوريد ويزداد المستعمرون ضيقًا وحنقًا فيرتكبون كل أنواع الجرائم فلا يرحمون صغيرًا ولا يحترمون نساء وتتلاشى أمامهم الإنسانية وتنهار الأخلاق الدولية فتتغذى الحركة الثورية الغذاء الذى لابد لها منه لتزداد نارها لهيبًا.

أقسم غير حانث أننا قد ربحنا المعركة الأولى ربحًا كاملًا، ففى أقل من شهر أصبح المستعمرون وقد لقوا كل عون مصرى فسفنهم تملأ القنال ومعسكراتهم تكاد تصبح قاعًا صفصفًا فليفرغوا هم سفنهم وليخدموا أنفسهم. حتى إذا دهمتهم المعركة التالية زادت حيرتهم واشتد ضيقهم وأيقنوا أن مصر صممت ولن ترجع وأن لا وسيلة للصفاء مع هذا الشعب إلا بالجلاء الناجز عن وادى النيل.

تلك هى الظروف التى بدأنا فيها كفاحنا الحالى مقارنة فى إجمال مع كفاحنا فى عام 1919، فعلينا حكومة وشعبًا أن نحسن تصريف الأمور ونتجنب عوامل الفشل.

علينا أن نحذر كما بينت فى كلمتى السابقة دعاة التفتير والتيئيس، فلا نعود فنقول ماذا فعلنا إلى الآن؟.. وماذا فعلت الحكومة؟ ومهما كانت خصومة بعضنا للحكومة ومهما بلغت تلك الخصومة فيجب أن تكون مصر أعز عليه من كل شىء فى الوجود.

وإذا افترضنا أن الحكومة أخطأت فى شأن من الشئون الداخلية فلا محل لمؤاخذتها الآن فى علانية.. أفهم أن تسدى النصيحة إن كان لها محل بالمشافهة أو المكاتبة لتبقى كل جرائدنا ومجلاتنا خالصة للكفاح المر الذى ينتظرنا جميعًا لا فرق بين وفدى وسعدى ودستورى ووطنى.

وعلينا أن نجعل لسماحة النفوس وطهارتها مجالها الأول إلى قلوبنا جميعًا فلا

يسفه بعضنا بعضًا فى عبارات جارحة أو ألفاظ نابية، فإذا بدا لأحد منا رأى فلا محل لدفعه بالعنف والشدة خصوصًا إذا كان الرأى لوجه الله والوطن.

وعلينا أن تكف بعض جرائدنا كما قال بحق معالى وزير الداخلية عن نشر أخبار هى إلى الدعاية أقرب. والواقع أننا لسنا فى حاجة إليها، فوحشية الإنجليز بعد أن فقدوا صوابهم كفيلة بأن تلهب وحدها شعور الأموات فما بالنا بالأحياء. ويجب وهو الأهم أن تظل أخبارنا مصونة فيبقى لها احترامها وتقدير الناس لها.

وعلينا ألا نكثر من الكلام عن المقترحات التى قدمتها الدول الأربع لأنَّه قد يفهم من إعادة الكلام فيها أن فينا من يقبلها أو يلوم الحكومة على رفضها. والحكومة كانت ملزمة برفضها لأن العهد الذى ارتبطت به أمام البلاد وفى البرلمان هو ألا تقبل عرضًا من أى نوع كأنَّ لا يكون الجلاء الناجز عن وادى النيل أساسه الأول، ففيم نلوم الحكومة ووزير خارجيتنا ينادى بهذا فى أوروبا ونحن نصفق له تأييدًا وتأكيدًا.

وعلينا وقد اعتزمنا وصرحت الحكومة بأن يسير الشعب فى مظاهرات سلمية يوم 13 و14 نوفمبر الحالى بالإسكندرية ومصر أن نحذر دسائس الإنجليز فهم فى الدس بارعون. لنحافظ على الأجانب جميعًا وعلى ممتلكاتهم ومتاجرهم فلا نعطى المستعمرين فرصة لتشويه مظاهراتنا يجب أن يكون منا المتظاهرون ومنا المحافظون على النظام أدق محافظة.

ويحضرنى مثل لا بد لى أن أرويه للقراء وفى المصريين الآن كثيرون سيذكرونه.

لما عاد سعد رحمه الله فى سنة 1921 وكانت هناك مظاهرات وكانت حوادث وكان قتل وكانت جنازات تسير بالشهداء يخرج لها الشعب ويشارك فيها بالألوف يأتون من كل مكان.

وكان الإنجليز يقولون فى جرائدهم أنَّ سعدًا ليس وراءه إلا الرعاع وتأييدًا لهذه الدعوى الزائفة انتهزوا فرصة جنازة رهيبة لبعض الشهداء سار فيها الشعب يتقدمه

سعد نفسه وبينما كنا فى ميدان الأوبرا حيث ستمر الجنازة أمام الكونتنتال وشبرد أعد الإنجليز بواسطة أعوانهم من المصريين بضع مئات من الحفاة المتسولين لا أدرى أجمعوهم من المقابر أم مما حولها وألحقوهم بالجنازة فى مؤخرتها وكان منظرًا غريبًا أخذت له صور وأرسلت إلى لندن للتدليل على صدق الذين زعموا أن سعدًا ليس يتبعه إلا الرعاع. وكانت لعبة إنجليزية خبيثة ولكنها لم تظل طويلًا.

إننى أذهب إلى أبعد من هذا وأذكر المصريين بأن بعض المظاهرات قد صادف أن أطلقت عليها أعيرة ليصبح الأمر فوضى وليختل كل نظام وليثور المتظاهرون.

فلنحذر هذا أيضًا ولتنتبه له الحكومة.

هذا بعض ما ورد على الخاطر الآن أرجو أن يلقى من المواطنين قبولًا حسنًا.

وأدعو فأكرر القول بأننا إذا تجنبنا عوامل الفشل وسرنا فى طريقنا بأعصاب هادئة وتفكير سليم وتدبر لكل أمر قبل التصرف فيه فإننا واصلون إلى أهدافنا الوطنية بإذن الله فى وقت أقرب مما نظن.

الطريق طويل والكفاح مرير فلنسر على بركة الله ولنكن يدًا واحدة فتكون يد الله فوق أيدينا.